

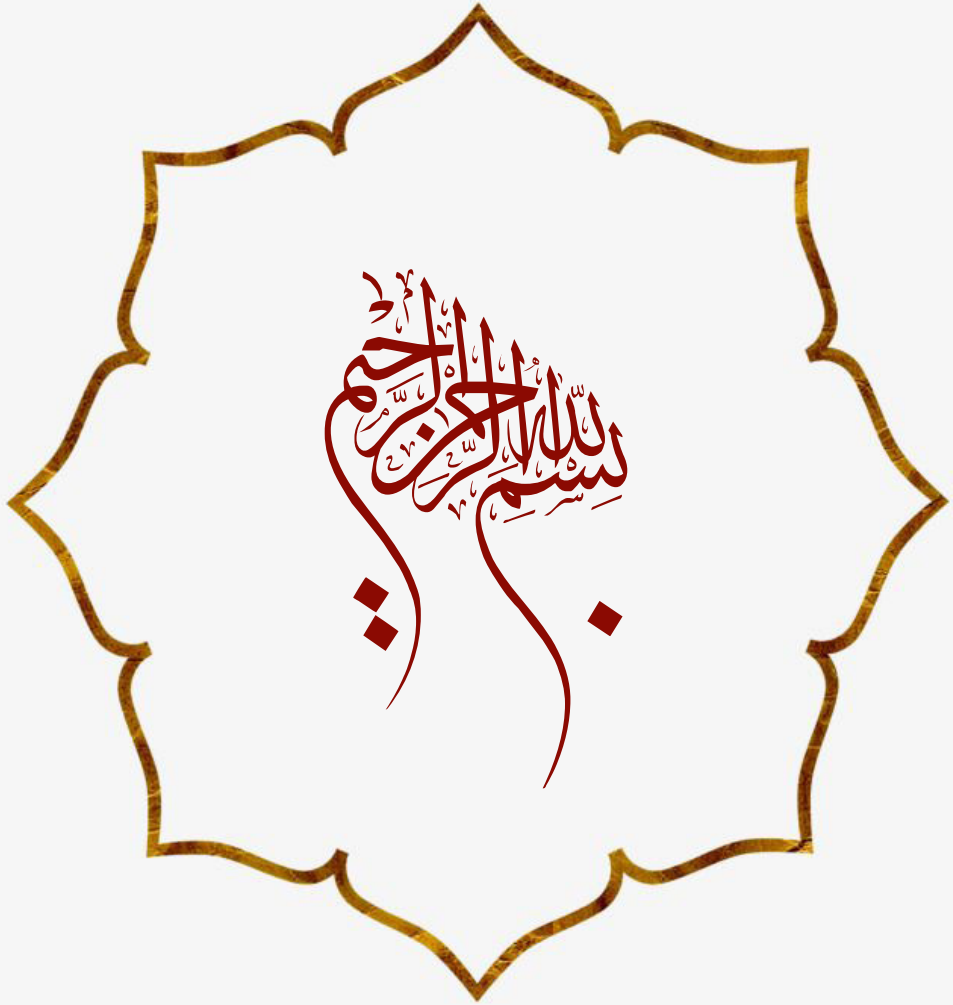
كَيْفَ تَبْدَأُ بِصَلَاتِكَ؟

رِحْلَةُ الْقَلْبِ إِلَى اللَّهِ



عَبْدُ الرَّحْمَنِ مُحَمَّدٌ عَسِيرِي

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف





الإِهْدَاءُ

دخل المسجد وقد كُسي وجهه نورًا.. ألقى السلام عليّ.. ثم استعد لأداء تحية المسجد..

فكبر بهدوءٍ وخشوع.. ترجم لذلك سكون جوارحه.. وجمال صلاته..

ركع باطمئنان.. رفع باطمئنان.. ثم هوى لیسجد بخضوع وتذلل..
يأسر نظري متأملًا لحر كاته وسكناته.. وأنا أراقب المشهد شعرت
لوهلة أنه في عالمٍ آخر..

حتى إذا فرغ من صلاته سألت نفسي: لم أطل صلاته؟؟ ولم صلاتي
ليست كصلاته؟؟

علمتُ حينها أنه كان مستمتعًا متلذذًا بها، لذا كان أداؤها بهذه
الطريقة!!

وعلمتُ أيضًا أن كلَّ الذين يستعجلون في صلاتهم لم يتذوقوا طعم
الصلاة وروحها وجمالها!!

إلى من وعظني بصلاته - أهدي هذا الكتاب.



مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين،
نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد طال بي التأمل في شأن الصلاة، ودفعتني ذلك إلى العزم على
الكتابة عنها؛ بياناً لعظيم قدرها، ورفيع منزلتها، وكيف تكون قُرَّةَ عَيْنٍ
للمؤمن، يجد فيها أُنسَهُ، ويدوق بها لذة القرب من ربه.

وقد كنتُ هممتُ بهذا من قبل، غير أنّ ما رأيته من شدة حاجة الناس
إلى إحياء معاني الصلاة في نفوسهم، والتذكير بحقّها، جعلني أوقن أنّ
الوقت قد آن للكتابة في هذا الباب.

ولا ريب أنّ العلماء قد بذلوا جهوداً مشكورة في بيان فضل الصلاة
وأسرارها، غير أنّ واقع كثيرٍ من الناس اليوم يُنبئ عن غفلةٍ ظاهرة؛ فكم
من مُصَلٍّ لا يُحسن صلاته، وكم من قلبٍ لا يجد فيها لذةً ولا خُشوعاً،
بل يُؤدّيها على وجه التكلف والثقل!



كيف تتلذذ بصلاتك؟

وإذا دخلت المساجد رأيت قلة الخاشعين، ونُدرة المبكرين إلى الصفوف الأولى، وكثرة المتأخرين مع قُرب منازلهم، ورأيت من يُسرِع في صلاته إسرَاعًا يُذهب روحها، ثم ينصرف وكأنه قد تخلص من عبءٍ ثقيل!

وإنّها لخسارة عظيمة أن تُودَى هذه العبادة الجليلة على هذا النحو، وهي التي جعلها الله راحةً للقلوب، وسكينةً للنفوس، وقرّة عينٍ لعباده الصالحين.

وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا الكتاب سببًا لإحياء معاني الصلاة في القلوب، وأن يجعله تذكيرًا للغافلين، وزادًا للسالكين، وأن يردّ به للصلاة بهاءها، ويُعيد إليها أثرها، إنّه وليّ ذلك والقادر عليه.

عبد الرحمن محمد عسيري

١٤٤٧/١١/١ هـ





إضاءة (١)

في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [سورة المؤمنون: آية ١]

بدأ الله وصف أهل الفلاح بصفة عظيمة، فقال: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ

خَاشِعُونَ﴾ [سورة المؤمنون: آية ٢]

ثم ختم صفاتهم بالمحافظة عليها، فقال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ

يُحَافِظُونَ﴾ [سورة المؤمنون: آية ٩]

فكانت الصلاة أول الطريق وآخره، وبينهما سرُّ الفلاح.

ولذلك كان جزاؤهم: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ [الَّذِينَ يَرِثُونَ

الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [سورة المؤمنون: الآيات ١٠-١١]

وفي المقابل، يُسأل أهل النار عن سبب هلاكهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ

﴾ [سورة المدثر: آية ٤٢]

فيكون أول اعترافٍ لهم: ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمَصْلِينَ﴾ [سورة المدثر:

آية ٤٣]

فهذه الصلاة: هي مفتاحُ الفلاح، وبها يُعرفُ طريقُ النجاة أو الهلاك.





هل جدّدت صلاتك؟

كلُّ شيءٍ في حياتك يتجدّد: بيتك، مركبك، هاتفك، حتى مظهرك ولباسك، لا ترضى أن تبقى على حالٍ واحدة، بل تبحث دائماً عن الجديد والأفضل.

لكن .. هل جدّدت صلاتك؟

هل ما زالت هي هي منذ سنين طويلة: حركاتٌ تؤدّي بلا روح، وألفاظٌ تُتلى بلا حضور قلب؟

الصلاة ليست عادةً يوميةً تُكرّر، بل لقاءً عظيمً يتجدد خمس مراتٍ كلَّ يوم، يُطهّر الروح من أثقال الدنيا، ويُعيد للقلب صفاءه ونوره.

فإياك أن تجعل صلاتك نسخةً مكررةً من الأمس!

اجعلها مختلفة اليوم: أعمق خشوعاً، أوفى حضوراً، أصدق دعاءً، فكلُّ ركعةٍ فرصةٌ لتجديد علاقتك بربك، وكلُّ سجدةٍ بابٌ إلى حياةٍ جديدة.



هل سألت نفسك يوماً؟

- * هل أتذوق حلاوة الصلاة؟
- * هل أجد فيها متعةً ولذةً في حياتي؟
- * هل أصلي كما يريد الله مني؟
- * هل أشعر بخشوعٍ وتدبرٍ، أم أني أؤديها عادةً بلا روح؟
- * هل أطيل صلاتي وأتهيأ لها مُبكراً، أم أنني أدخل مُتأخراً وأخرج مُسرعاً؟
- * أين اللذة والأنس والسعادة والإيمان؟
- * فعندما تُسَلِّمُ من صلاتك، هل تجد قلبك قد تغير؟
- * هل تشعر بتلك الطمأنينة التي تملأ النفس؟
- * هل تستشعر أنك كنت في مناجاة مع الله عَزَّجَلَّ؟
- * وهل ذقت نعيم الصلاة أم لا زلت محروماً منه؟

اعلم أن السبيل إلى ذلك هو أن تحرص على الصلاة الخاشعة، وأن

تبحث عن مفاتيح الخشوع وأسبابه، وأن تُكثر من الدعاء بأن يرزقك الله صلاةً تشرح الصدر، وتطمئن بها النفس، ويسكنُ بها القلب، وتُبارك بها الحياة.



واعلم أن مجاهدة النفس على الخشوع أمرٌ لا بد منه؛ فالطاعة التي تعملها اليوم مُكرهاً قد تصبح غداً ألدَّ ما في حياتك.

وقد وعد الله بذلك فقال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾

[العنكبوت: ٦٩].

احرص على إتقان صلاتك وتحسينها، ولا يكن همك كثرة الصلاة.

قال الله تعالى: ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].

تأمل! لم يقل سبحانه: (أكثر عملاً)، وإنما قال: أحسن عملاً، فالمقصود العناية بالإتقان والإحسان، لا مجرد كثرة الأعداد.

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: «كَانَ السَّلْفُ يُؤْصُونَ بِإِتْقَانِ الْعَمَلِ وَتَحْسِينِهِ دُونَ الْإِكْتِثَارِ مِنْهُ؛ فَإِنَّ الْعَمَلَ الْقَلِيلَ مَعَ الْإِتْقَانِ أَفْضَلُ مِنَ الْكَثِيرِ مَعَ الْغَفْلَةِ وَعَدَمِ الْإِتْقَانِ.

وقال بعضُ السلف: «إِنَّ الرَّجُلَيْنِ لَيَقُومَانِ فِي الصَّفِّ، وَبَيْنَ صَلَاتَيْهِمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»^(١).



(١) تفسير ابن رجب (١/٤٢٣).



نعيمُ الصلاة

الصلاة ليست مجرد حركاتٍ وألفاظٍ تتكرر خمس مرات في اليوم، بل هي جنةٌ في الدنيا وراحةٌ للقلب والروح، ومقامٌ يسمو به العبد فوق هموم الحياة وتعبها.

إنها عبادةٌ تتردد بها الأرواح، وتشتاق إليها القلوب إذا ذقت حلاوتها.

لقد فهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حقيقة هذا النعيم، فكان يقول: «يَا بَلَاءُ أَقِمِ الصَّلَاةَ، أَرِحْنَا بِهَا»^(١).

ليست راحةٌ منها كما يقول كثير من الناس اليوم، وإنما راحةٌ بها؛ فهي البلسمُ الذي يُبدد الهموم، والدواء الذي يُخفف الآلام.

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «وَجَعَلَتْ قُرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^(٢).

فإذا قام إلى الصلاة وجد برد اليقين، وسكينة القلب، ولذة المناجاة.

لم تكن الصلاة عنده مجرد أداء، بل كانت أنسًا وسكنًا، وقربًا من

ربه جَلَّ جَلَالُهُ.

(١) رواه أبو دواد (٤٩٨٥) وقال الألباني: صحيح.

(٢) رواه النسائي (٣٩٣٩) وقال الألباني: حسن صحيح.



وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ أَوْ فَزِعَ مِنْ شَيْءٍ، هَرَعَ إِلَى الصَّلَاةِ،
وَكَأَنَّهَا صِمَامٌ أَمَانٌ رُوحِيٌّ يَلْجَأُ إِلَيْهِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ، وَمَلَاذٍ يَلُودُ بِهِ فِي
سَاعَاتِ الْكُرْبِ.

إِنَّ الصَّلَاةَ تَرِيحُ الْإِنْسَانَ حَقًّا؛ فَهِيَ الَّتِي تُطْمِئِنُّ قَلْبَهُ، وَتُنْعَشُ رُوحَهُ،
وَتُعَلِّقُهُ بِاللَّهِ، وَتَسْمُو بِهِ إِلَى مَرَاتِبِ الصَّفَاءِ.

العبد يدخل المسجد مثقلًا بالهموم، مكدود النفس، مشغول الفكر،
فإذا كَبَّرَ تكبيرة الإحرام، وأخلص لربه المناجاة، خرج بقلبٍ آخر: أنقى،
وأصفى، وأقرب إلى ربه.





أيها المصلي

إن لم تجد في صلاتك حلاوة ولذة، فاعلم أن ثمة خللاً حال بينك وبين هذا النعيم، فمنع وصول أثرها إلى قلبك.

للصلاة طعمٌ خاص، ولذةٌ وسعادةٌ لا يعرفها إلا من ذاقها؛ ومن حُرّمها فقد حُرّم خيراً كثيراً، ومن لم يذوقها فما عرف حقيقة السعادة، ولا ذاق الطمأنينة القلبية، ولا الراحة النفسية.

إن الواقع يشهد أن من يقيمون الصلاة كما أرادها الله، بطمأنينةٍ وخشوعٍ، وأداءٍ لأركانها وواجباتها وسُننها، يجدون فيها لذةً لا تُضاهيها لذةٌ من لذائذ الدنيا.

تأمل حالهم حين يخرجون من بيوتهم متجهين إلى بيوت الله، ترى النور يشعّ من وجوههم، والبهاء يكسو ملامحهم، وذلك لما امتلأت به قلوبهم من سعادة غامرة ولذة صادقة، بل إن بعضهم يسبق المؤذن إلى المسجد شوقاً إلى الصلاة، وعلمًا بما فيها من القرب إلى الله عزَّ وجلَّ وما تحمله من لذائذ روحية وطمأنينة قلبية.





موقف لا أنساه

حدّثني أحد الإخوة قبل أكثر من عشرين سنة موقفاً لا يزال حيّاً في ذاكرتي حتى اليوم.

قال: كان لي زميل في العمل يضبط منبه هاتفه قبل الأذان بنصف ساعة، لا شيء إلا ليستعد للصلاة مبكراً؛ فيتهيأ لها بطمأنينة، ويخرج من أوائل الناس إلى المسجد.

أدهشني هذا الحرص! وقلت في نفسي: ما الذي يدفع إنساناً لأن يُخطط لصلاة لم يحن وقتها بعد؟!

ثم أدركت: إنه الحُب.. نعم، حُب الصلاة، والشوق لمناجاة الله. فنحن إذا أحببنا إنساناً أو أمراً من شؤون الدنيا، تهيأنا له قبل وقته، وفرحنا بقربه، وانتظرناه بلهفة، فكيف إذا كان اللقاء برب العالمين؟!

وهنا أسأل نفسي وأسألكم:

- * هل نستعد للصلاة كما نستعد لمواعيد الدنيا؟
- * هل نفرح بقدومها كما نفرح بلقاء الأحبة؟
- * أم أننا لا نتحرك إلا عند سماع الأذان، وربما تهاونا حتى لا ندخل المسجد إلا مع الإقامة، أو بعد فوات ركعة أو ركعتين؟



✽ ورسالتي لمن حاله دائما التأخر عن الصلاة:

* لماذا تأتي إلى الله متأخراً؟

* لم لا تحترم مواعيدك مع الله؟

لقد علمتني هذه القصة أن من صفات المؤمنين: المسابقة إلى الصلاة والمسارعة إليها، كما قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ [المؤمنون: ٦١]، بينما وصف الله المنافقين بقوله: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى﴾ [النساء: ١٤٢]. فشتان بين من يذهب إلى الصلاة شوقاً، ومن يذهب إليها كرهاً وثاقلاً!

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «تَفَقَّدُوا الْحَلَاوَةَ فِي الصَّلَاةِ، وَفِي الْقُرْآنِ، وَفِي الذِّكْرِ؛ فَإِنْ وَجَدْتُمُوهَا فَاْمُضُوا وَأَبْشِرُوا، وَإِنْ لَمْ تَجِدُوهَا فَاَعْلَمُوا أَنَّ الْبَابَ مُغْلَقٌ»^(١).

ويقول محمد بن واسع رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا بَقِيَ فِي الدُّنْيَا شَيْءٌ أَلَذُّ بِهِ إِلَّا الصَّلَاةُ جَمَاعَةً وَلِقَاءُ الْإِخْوَانِ»^(٢).

ومن المقرر أن كل طاعة إذا أدت كما أراد الله، أثمرت في القلب أنساً وحلاوة وإشراقاً، والصلاة في ذلك أعظم الطاعات وأجلها.

(١) حلية الأولياء (١٠/ ١٤٦).

(٢) الزهد؛ لابن حنبل (١/ ٢٥٤).



ويقول ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ: سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: «إذا لم تجدِ لِلْعَمَلِ حَلَاوَةً فِي قَلْبِكَ وَأَنْشِرَاحًا فَاتَّهَمُهُ، فَإِنَّ الرَّبَّ شَكُورٌ»^(١).

المقصود: أن العامل لا بد أن يذوق في دنياه ثمرة عمله من حلاوة في القلب، وانسراح في الصدر، وراحة في العين، فإن لم يجد ذلك فعمله فيه نقص وخلل.

فاللهم ارزقنا لذة الصلاة، وأعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.





قيمة كل امرئ ما يطلبه

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «الْعَامَّةُ تَقُولُ: قِيَمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُهُ. وَالْعَارِفُونَ يَقُولُونَ: قِيَمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يَطْلُبُ»^(١).

أي أن قدر الإنسان يتحدد بما يُريده ويسعى إليه، ولهذا يختلف الناس باختلاف مُراداتهم ومقاصدهم.

ومن هنا تظهر أهمية تحديد المرادات قبل كل شيء.

وعند التأمل ندرك عظمة قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»^(٢).

فما أعظم هذه الجملة الأخيرة «وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»، فهي ميزان للأعمال كلها.

ومن أوضح الأمثلة التي نعيشها يوميًا: الصلاة.

كلنا نأتي إلى المسجد لنصلي، لكن تختلف نياتنا ومُراداتنا:

١) فمننا من يأتي ل: إسقاط الفرض فقط، أي: أداء الواجب.

أكثر الناس يأتون فقط لأن الصلاة فُرِضت عليهم، فيصلُّون ويخرجون.

(١) مدارج السالكين (٣/ ٤٩٥).

(٢) رواه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).



٢) ومنا من يأتي لإسقاط الفرض ولرفعة الدرجات وحط الخطيئات.

يعلم أن كل خطوة وسجدة ترفعه عند الله، فيكثر السجود ويحرص على السنن.

عن ثوبان مولى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ، فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً، إِلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً»^(١).

يستشعر كثرة ذنوبه، فيأتي وهو يعلم أننا نحترق ونريد مغفرة الله، فيستشعر هذا المعنى، ويكثر الدعاء: اللهم اغفر لي.

٣) التعلّم من الصلاة.

يتأمل في كلام الله، ويجعل من كل آية درسًا يغيّر قلبه وعمله.

٤) الراحة.

يأتي ليجد راحة من هموم الدنيا: (أرحنا بها يا بلال).

فتجده يأتي مبكرًا ليرتاح، ويخرج متأخرًا؛ لأنه ذاق طعم الراحة.

٥) الحفظ.

ينوي أن يحفظه الله وأهله من الفتن، مستحضرًا قوله تعالى:

﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

(١) رواه مسلم (٤٨٨).



﴿حَفِظُوا﴾ فهي مفاعلة: فأنت تحفظها، وهي تحفظك.

ويعلم أنها ﴿تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

فالناس يتفاوتون في صلاتهم بقدر مراداتهم:

- * منهم من يأتي فقط لإسقاط الفرض،
- * ومنهم من يأتي لينال المغفرة،
- * ومنهم من يطلب الرفعة،
- * ومنهم من يتعلم،
- * ومنهم من يرتاح،
- * ومنهم من يستحضر أنها حفظ له ولأهله.

فحدّد مراداتك؛ لأن قيمة كل امرئ ما يطلبه.

ومن كانت له أهداف واضحة ونيّات صادقة، خرج من الصلاة

وغيرها من الأعمال بمكاسب عظيمة لا تخطر على بال.

ومما يزيد الأمر وضوحًا أن الصلاة مرآة لمراداتنا: فمن جعلها فرضًا

أسقطه، خرج بثقل، ومن جعلها مغفرةً رجع مأجورًا، ومن جعلها رفعةً

غنم الدرجات، ومن جعلها راحةً وجد السعادة، ومن جعلها حفظًا كان

في ذمة الله وحفظه.



إضاءة (٢)

أُهدي للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خميصةً فيها أعلام، فلما صَلَّى بها نظر إلى خطوطها، فلما سلّم قال: «اذْهَبُوا بِهَا إِلَى أَبِي جَهْمٍ، وَأْتُونِي بِأَبْجَانِيَّتِهِ؛ فَإِنَّهَا أَلْهَتْنِي عَنْ صَلَاتِي».

فمع أنها أجمل وأغلى، تركها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حرصاً على صفاء قلبه في الصلاة.

فانظر إلى هذا الكمال: نظرةٌ عابرة شغلته فردَّ الثوب، فكيف بمن تسرّح قلوبهم في الدنيا من أول تكبيرة الإحرام!
القصة في صحيح البخاري ومسلم





الصلاة لا تسرق بالعجلة

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَدَخَلَ رَجُلٌ، فَصَلَّى، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَدَّ وَقَالَ: «ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ»، فَارْجَعَ يُصَلِّي كَمَا صَلَّى، ثُمَّ جَاءَ، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ» ثَلَاثًا، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَحْسَنُ غَيْرَهُ، فَعَلَّمَنِي، فَقَالَ: «إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تيسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمِئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمِئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمِئِنَّ جَالِسًا، وَافْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا»^(١).

هذا الحديث أصلٌ عظيم في بيان وجوب الطمأنينة في الصلاة، وأنها ركنٌ لا تصح الصلاة إلا به، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يُقرّر ذلك الرجل على صلاته السريعة المستعجلة، بل كرر عليه الأمر بالرجوع، ليعلم أن صلاته بلا طمأنينة لا تُعد صلاة في الحقيقة.

(١) رواه البخاري (٧٥٧).



رسائل تربوية من الحديث:

١- الحرص على إتقان الصلاة

الصلاة ليست مجرد حركات، بل عبادة عظيمة تحتاج إلى إتقان وطمأنينة، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْصَرِفُ وَمَا كُتِبَ لَهُ إِلَّا عَشْرُ صَلَاتِهِ، تِسْعُهَا، ثُمَّهَا، سُبْعُهَا، سُدْسُهَا، خُمُسُهَا، رُبْعُهَا، ثُلُثُهَا، نِصْفُهَا»^(١).
وقال ابن عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «لَيْسَ لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ إِلَّا مَا عَقَلْتَ مِنْهَا»^(٢).

٢- التعليم العملي منهج نبوي

النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكتفِ ببيان الخطأ، بل أعاد الموقف مراراً ثم علّم الرجل خطوة بخطوة كيف يصلي، وهذا أبلغ في التربية.

٣- الطمأنينة أساس الخشوع

الركوع والسجود بلا طمأنينة أشبه بالجسد بلا روح، الطمأنينة تُشعر العبد أنه بين يدي الله، خاشع متذل، لا مستعجل ينقر صلاته.

٤- خطورة الاستعجال في الصلاة

كثير من الناس يصلون كما صلى ذلك الرجل، مسرعين في

(١) رواه أبو داود (٧٩٦) وقال الألباني: حسن. وأخرجه أحمد بإسناد صححه الحافظ العراقي.

(٢) مجموع الفتاوى (٦ / ٢٢).



الركوع والسجود، فلا يذوقون حلاوة الصلاة، بل ولا تصح منهم على الوجه المطلوب.

فإذا أردت أن تنال ثمرة الصلاة كاملة، فأعطاها وقتها، ولا تستعجل في أدائها، ولا تسرق منها، فإنك إن فعلت سرقتَ من خشوعك، ونهبتَ من إيمانك، والصلاة بركة، وميدانُ فيوضاتٍ ربانية، وكم من معنى لطيف وخواطر إيمانية تُشرق في قلب المصلي أثناء صلاته، لم تخطر بباله قبل دخوله فيها، فتمهّل؛ فإن التمهّل مفتاح التدبر والذوق.

وليست العناية بالتمهّل داخل الصلاة فقط، بل قبلها أيضًا، فقد أمرك نبيك **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أن تأتي الصلاة بسكينة لا هرولة، حتى تدخلها وقلبك ساكن، ونفسك مطمئنة.

قال **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**إِذَا أَتَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا**»^(١).

٥- حرص المتعلم

الرجل لما عجز عن تحسين صلاته بنفسه قال: «**والذي بعثك بالحقّ ما أحسن غيرهُ، فعلمني**»، وهذا من حُسن طلب العلم والتواضع للمعلم.

وهنا تبرز أول خطوة لتغيير صلاتك والتلذذ بها: الحرص.

(١) رواه البخاري (٦٣٥)، ومسلم (٦٠٣).



فانظر إلى الرجل الذي أساء في صلاته، لما قال له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ارجع فصلِّ فإنك لم تصلِّ» ثلاث مرات، لم يُعاند ولم يُبرّر، بل قال بكل صدق: «فَعَلَّمَنِي».

فهل لك أن تسأل نفسك اليوم: 

- * هل تريد أن تتعلم كيف تغيّر صلاتك؟
- * هل تريد أن تخشع فيها وتذوق حلاوتها؟
- * هل تريد أن ترتقي بها من عادة يومية إلى جنة روحية؟
- * نقطة البداية تكون بالحرص الصادق، ثم بالسؤال الصريح: كيف أصلي؟





أسوأ سارق

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَسْوَأُ النَّاسِ سَرِقَةً الَّذِي يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ؟ قَالَ: «لَا يُتَمُّ رُكُوعَهَا وَلَا سُجُودَهَا» (١).

هذا الحديث يرسم صورة عجيبة: رجل يقف بين يدي الله عز وجل في أعظم عبادة، ثم يعجل ويقصر وينقر صلاته، فيخرج منها ولم يذق طعمها ولم يؤدّها كما أمر الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

إنه أسوأ سارق؛ لأنه يسرق من صلاته التي هي صلته بربه، ويظن أنه صلى وهو في الحقيقة لم يقم الصلاة كما أريدت منه، فكيف بمن يختصر الركوع والسجود حتى لا يطمئن ظهره قائماً ولا مطمئناً؟! هذا حرم أعظم ركن في الصلاة وهو الطمأنينة، وضاع عليه لبّ الصلاة وروحها.

والعجيب أن السرقة من الناس قد تُغفر إذا عفا صاحب الحق، لكن السرقة من الصلاة لا تُغفر إلا إن تاب العبد وأحسن عمله، فهي حق لله الذي شرع الصلاة وأمر بإقامتها على وجهها الكامل.

(١) رواه أحمد (٢٢٦٤٢) وصححه إسناده شعيب الأرنؤوط.



فمن لم يُتم ركوعه وسجوده، ولم يقم صلبه مطمئنًا، فإنه لم يذق حلاوة المناجاة، ولم يجتمع له الإيمان والسكينة، بل خرج من صلاته وهو خاسر، كمن دخل سوقًا عظيمًا ثم خرج منه صفر اليدين.

فإتمام الركوع والسجود، وإعطاء الصلاة حقها من الطمأنينة والخشوع، هو أول درجات الفوز والقبول، وهو الفارق بين صلاة مقبولة ترفع صاحبها، وصلاة مردودة لا تساوي عند الله شيئًا.

شتان شتان بين من يقول: «أرحنا بالصلاة»، ومن يقول: «أرحنا من

الصلاة»!

* فالأول يطلب الأُنس والراحة في صلاته، يجد فيها نعيم القلب

وسلوى الروح.

* أما الثاني فغاياته أن يتخلص منها سريعًا، كأنها حملٌ ثقيلٌ يريد أن

يزيحه عن كاهله.

شتان بين من يسجد فيطيل السجود، يناجي ربّه، ويتأمل الأذكار

والأدعية، يرجو الرحمة ويطلب المغفرة.

وبين من ينقر صلاته نقر الغراب، لا يتم ركوعها ولا سجودها، يُسرّع

فيها كأنها شبحٌ يُطارده، فلا يذوق لذتها ولا حلاوتها.



حال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع الصلاة

لقد كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرى في الصلاة جنةً وراحةً، حتى إنه كان يقول: «يا بلالُ أقمِ الصَّلَاةَ، أَرِحْنَا بِهَا»^(١).

وعن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا النِّسَاءُ وَالطِّيبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^(٢).

فكانت الصلاة قرّة عينه، وراحة قلبه، ومصدر أنسه وسعادته، وكلُّ من ذاق طعم الصلاة ولذتها أطال فيها وتمهل، ولذلك كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا صلى لنفسه أطال القيام والركوع والسجود، ولولا أنسه العظيم بها لما أطال هذه الإطالة.

فعن حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقْرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتْرَسَلًا؛ إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: سُبْحَانَ رَبِّي الْعَظِيمِ، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه النسائي (٣٩٣٩) وقال الألباني: حسن صحيح.



قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، فَقَالَ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ»^(١).

لاحظ أخي الكريم: لقد صلى صلاةً طويلة، قرأ فيها ما يقارب خمسة أجزاء مترسلاً، وأطال ركوعه وسجوده، ولولا أنسه ولذته بالصلاة لما احتمل هذا القيام.

وكان يُطيل حتى تنفطر قدماه، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَنْفَطِرَ قَدَمَاهُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا»^(٢).

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً، فَلَمْ يَزَلْ قَائِمًا حَتَّى هَمَمْتُ بِأَمْرِ سَوْءٍ»، قيل: وَمَا هَمَمْتَ؟ قَالَ: هَمَمْتُ أَنْ أَقْعُدَ وَأَدْرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»^(٣).

وقد كان عليه الصلاة والسلام سيد الخاشعين، يصلي لله خاشعاً مُخْبِتاً، يبكي ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء.

(١) رواه مسلم (٧٧٢).

(٢) رواه البخاري (٤٨٣٧)، ومسلم (٢٨٢٠).

(٣) رواه البخاري (١١٣٥)، ومسلم (٧٧٢).



عن عبد الله بن الشَّخِيرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي فِي صَدْرِهِ أَزِيْزٌ كَأَزِيْزِ الرَّحَى (١) مِنْ الْبَكَاءِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» (٢).

إن النظر في عبادة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وخاصة صلاته، يكشف لنا سرَّ عظمته وقوة صلته بربه؛ فلم يكن في صلاته مجرد مؤدٍّ لواجب، بل كان يعيش فيها لذةً وأنساً يجعلانه يطيل القيام والركوع والسجود حتى تنفطر قدماه.

ومع هذا فإن هذه الإطالة لم تكن في الفرائض التي صلاها بالناس، وإنما في النوافل التي يصليها وحده، ليجمع بين لذة الطاعة وبين الرفق بالأمة.

فالمؤمن حين يقرأ هذه النصوص لا يُكَلِّفُ أَنْ يَطِيلَ كَمَا أَطَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكن يُطَلِّبُ مِنْهُ أَنْ يَتَذَوَّقَ حَلَاوَةَ الصَّلَاةِ، وَأَنْ يَجَاهِدَ نَفْسَهُ حَتَّى يَجِدَ فِيهَا رَاحَتَهُ وَسَعَادَتَهُ.

إن الصلاة ميزان القلوب: فمن وجد فيها أنساً وخشوعاً، فقد وُفِّقَ إِلَى سِرِّهَا، ومن لم يجد سوى العجلة والضيق، فليعلم أن بينه وبين حلاوة الصلاة حجاباً، يحتاج أن يرفعه بالمجاهدة والتوبة والدعاء.

(١) أزيز الرحى: هو صوت الطاحونة عند دورانها، وكان يُسَمَعُ مِثْلَهُ مِنْ صَدْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ يَكْبِي فِي صَلَاتِهِ.

(٢) رواه أبو داود (٩٠٤) وقال الألباني: صحيح.



فليُساءل كل واحد منا نفسه:

* أأنا ممن يقول: أرحنا بها، أم ممن حاله يقول: أرحنا منها؟

* وهل صلاتي جنة أستظل بها من هموم الدنيا، أم عبء أسعى

لأتخلص منه؟





حال السلف الصالح مع الصلاة

إن المتأمل في أحوال السلف الصالح رَحِمَهُمُ اللَّهُ يجد أنهم كانوا يعظمون أمر الصلاة ويعرفون قدر من يقفون بين يديه.

لقد سَطَّرَ سلفنا الصالح صوراً مشرقة في المحافظة على الصلاة، وبخاصة صلاة الجماعة.

يقول عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث: «وَلَقَدْ رَأَيْنَا، وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنِ الصَّلَاةِ إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومٌ النِّفَاقِ»^(١).

وفيما يلي نماذج مضيئة من أحوالهم معها:

* عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يختم القرآن في ركعة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ فِي رُكْعَةٍ ثَابِتٌ عَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»^(٢).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَقَدْ رُويَ هَذَا مِنْ غَيْرِ وَجْهِ أَنَّهُ صَلَّى بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ فِي رُكْعَةٍ وَاحِدَةٍ، عِنْدَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ، أَيَّامَ الْحَجِّ»^(٣).

(١) رواه مسلم (٦٥٤).

(٢) منهاج السنة النبوية (٤ / ٣٢).

(٣) البداية والنهاية (٧ / ٢١٤)، وصححه ابن حجر في الفتح (٢ / ٤٨٢).



* **سعيد بن المسيب** يقول: «مَا فَاتْتَنِي الصَّلَاةُ فِي الْجَمَاعَةِ مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً».

ويقول أيضا: «مَا أَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ مُنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً إِلَّا وَأَنَا فِي الْمَسْجِدِ» (١).

* **الربيع بن خثيم يُقاد إلى الصلاة وبه الفالج** (٢)، فقيل له: قد رخص لك، فقال: «إِنِّي أَسْمَعُ (حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ)، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَأْتُوَهَا وَلَوْ حَبْوًا» (٣).

* **عامر بن عبد الله بن الزبير سَمِعَ الْمُؤَذِّنَ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَقَالَ: خُذُوا بِيَدِي. فَقِيلَ: إِنَّكَ عَلِيلٌ! قَالَ أَسْمَعُ دَاعِيَ اللَّهِ، فَلَا أُجِيبُهُ. فَأَخَذُوا بِيَدِهِ، فَدَخَلَ مَعَ الْإِمَامِ فِي الْمَغْرِبِ، فَرَكَعَ رَكْعَةً، ثُمَّ مَاتَ** (٤).

* **سعيد بن عبد العزيز:** إذا فاتته صلاة الجماعة بكى (٥).

* **الأعمش:** قارب السبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى (٦).

(١) حلية الأولياء (٢/ ١٦٢).

(٢) الفالج: مرض يصيب نصف الجسم ويسبب عدم القدرة على الحركة وهو ما يسمى اليوم: الشلل النصفي.

(٣) سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٦٠).

(٤) سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٢٠).

(٥) سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٤).

(٦) طبقات علماء الحديث (١/ ٢٤١).



* علي بن الحسين: كَانَ إِذَا تَوَضَّأَ اصْفَرَ، وَإِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ ارْتَعَدَ، فَقِيلَ لَهُ: مَا هَذَا؟ فَقَالَ: «تَدْرُونَ بَيْنَ يَدَيَّ مَنْ أَقُومُ وَمَنْ أُنَاجِي؟» (١).

* منصور بن المعتمر: قَالَتْ ابْنَةُ لَجَارٍ مَنْصُورٍ لِأَبِيهَا: «يَا أَبَتِ، أَيْنَ الخَشَبَةُ الَّتِي كَانَتْ فِي سَطْحِ مَنْصُورٍ قَائِمَةً؟ قَالَ: «يَا بُنَيْتُ ذَاكَ مَنْصُورٌ كَانَ يَقُومُ بِاللَّيْلِ» (٢).

وكانوا يرون أن صلاح الرجل يُعرف بصلاح صلاته.

قال أبو العالية رَحِمَهُ اللهُ: «كُنْتُ أُرْحَلُ إِلَى الرَّجُلِ مَسِيرَةَ أَيَّامٍ لِأَسْمَعَ مِنْهُ، فَاتَّفَقْتُ صَلَاتَهُ، فَإِنْ وَجَدْتُهُ يُحْسِنُهَا، أَقَمْتُ عَلَيْهِ، وَإِنْ أَجِدُهُ يُضِيعُهَا، رَحَلْتُ وَلَمْ أَسْمَعْ مِنْهُ، وَقُلْتُ: هُوَ لِمَا سِوَاهَا أُضِيعُ» (٣).

وقال يحيى بن أبي كثير رَحِمَهُ اللهُ: «خَصَلْتَانِ إِذَا رَأَيْتَهُمَا فِي الرَّجُلِ، فَاعْلَمْ أَنَّ مَا وَرَاءَهُمَا خَيْرٌ مِنْهُمَا، إِذَا كَانَ حَابِسًا لِلِّسَانِ، يُحَافِظُ عَلَى صَلَاتِهِ» (٤).

(١) سير أعلام النبلاء (٤ / ٣٩٢).

(٢) حلية الأولياء (٥ / ٤٠).

(٣) سير أعلام النبلاء (٥ / ١١٨).

(٤) الصمت وآداب اللسان (١ / ٥٠).



من هنا يُظهر بجلاء كيف كان السلف الصالح رَحِمَهُمُ اللهُ يحيطون الصلاة بهالة من التعظيم والإجلال، حتى صارت ميزاناً يُوزن به الرجال، وعنواناً لصلاح القلب والعمل.

وهذه النماذج العطرة تُبَيِّنُ لنا كيف كانت الصلاة عند السلف الصالح ليست مجرد عادة تؤدي، بل حياة وروح وارتباط بالله.

كانوا يعدّون فوات صلاة الجماعة مصيبة عظيمة تستحق البكاء. وكانوا يستشعرون عظمة الوقوف بين يدي الله حتى ترتعد فرائصهم. ولم يمنعهم مرض أو عجز أو انشغال من إجابة النداء. فهكذا عَظَّمَ السلف أمر الصلاة، فصارت قرة أعينهم، وبلسم قلوبهم، وسبب صلاح دنياهم وآخرتهم.

ونحن اليوم أحوج ما نكون إلى إعادة النظر في صلاتنا:

* هل نصليها كما صلاها أولئك؟

* وهل نجد فيها ما وجدوه من لذة وأنس وطمأنينة؟

هكذا كانت حال شباب صدر الإسلام، قلوبهم معلقة بالصلاة، وأبدانهم متلهفة لها، يرونها نعيم الحياة وقرّة العين، أمّا في عصرنا الحاضر، فقد ابتُلِيَ بعض شباب المسلمين بتضييع هذه الشعيرة



العظيمة، فكان منهم من فرط فيها بالكلية، ومنهم من أخرها عن وقتها، ومنهم من تهاون ببعضها.

إن من أشد ما يحزن القلوب أن ترى شاباً ترك الصلاة متعمداً، وقد صح عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله: «إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشَّرْكِ وَالْكَفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ»^(١). فترك الصلاة ليس ذنباً عادياً، بل هو كفرٌ صريحٌ يقطع الصلة بين العبد وربّه.

ومن الشباب من يؤخر الصلاة عن وقتها لانشغال أو لهو، فيصلّيها متى فرغ من دنياه، وهذا عمل مردود؛ فقد قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»^(٢)، والصلاة المؤخرة بلا عذر مردودة على صاحبها، لا تقبل منه.

وهناك من يتهاون بصلاة الفجر والعصر خصوصاً، فالفجر بعد نوم الليل، والعصر بعد تعب النهار وقيلولته.

وقد سماهما النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ البردين فقال: «مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٣).

(١) رواه مسلم (٨٢).

(٢) رواه مسلم (١٧١٨).

(٣) رواه البخاري (٥٧٤)، ومسلم (٦٣٥).



ومن تناقل عن الصلاة، ففيه شبه من المنافقين، كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
«إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ، وَصَلَاةُ الْفَجْرِ»^(١).

أما صلاة العصر، فقد شدد الشرع في شأنها، إذ قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
«الَّذِي تَفَوُّتَهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ، فَكَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلُهُ وَمَالُهُ»^(٢)، وقال أيضًا: «مَنْ
تَرَكَ صَلَاةَ الْعَصْرِ فَقَدْ حَبَطَ عَمَلُهُ»^(٣).

وهذا يدل على عظم خطر التفريط فيها.

* لا بد أن يستجيب الشباب وغيرهم لأمر الله تعالى حيث يقول:
﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾^(٢٣٨)
[البقرة: ٢٣٨].

* وأن يتصفوا بصفات عباد الله الصالحين: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ
سُجَّدًا وَقِيَمًا﴾^(٦٤) [الفرقان: ٦٤].

* وأن يحرصوا غاية الحرص على أداء الصلاة في وقتها، قال
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾^(١٠٣)
[النساء: ١٠٣].

(١) رواه البخاري (٦٥٧)، ومسلم (٦٥١).

(٢) رواه البخاري (٥٥٢)، ومسلم (٦٢٦).

(٣) رواه البخاري (٥٥٣).



فالآية تؤكد أن الصلاة عبادة منضبطة بمواقيت شرعها الله، وهي من أحب الأعمال إلى الله، كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا»^(١).

فالصلاة هي عمود الدين، وميزان الإيمان، وعلامة صلاح القلب، ومن ضيّعها فقد ضيّع دينه، ومن حافظ عليها أفلح ونجا.



(١) رواه البخاري (٥٢٧)، ومسلم (٨٥).



إضاءة (٣)

عن زيد بن علي بن الحسين، عن أبيه، قال: نُعي إلى ابن عباس ابن له وهو في سفر، فقال: **إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**، ثم نزل فصلي رَكَعَتَيْنِ، ثم قال: **فَعَلْنَا مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، وَتَلَا: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾** [البقرة: ٤٥].

تعظيم قدر الصلاة - المروزي





الخشوع ومنزلته في الصلاة

الخشوع في الصلاة هو لبُّها وروحُها، وهو المقصودُ الأعظمُ من مشروعيّتها، فمن صلّى بغير خشوع، لم يذق حقيقة المناجاة، ولم يذكر ربّه بقلبٍ حاضر، ولم يتدبر آيةً ولا ذكرًا، ولم يُفرغ قلبه لله، ولم يوجل من خشيته، فتكون صلاته حركاتٍ جوفاء لا تثمرُ إيمانًا، ولا تزيدهُ أنسًا ولا راحةً، ولا تنهى عن فحشاءٍ ولا منكر، إنّها صورة بلا حقيقة، وجسد بلا روح.





تعريف الخشوع في الصلاة

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فِي تعريفه للخشوع: «هو قيام القلب بين يدي الرَّبِّ بِالْخُضُوعِ وَالذُّلِّ».

وقال أيضا: «وأجمع العارفون على أَنَّ الخشوعَ محلُّه القلبُ، ثمَّ يَرْتَفِعُ إِلَى الجوارحِ، وهي تُظْهِرُهُ».

وقيل: «هو تذللُّ القلوبِ لِعَلَامِ الغُيُوبِ»^(١).

وأصلُ الخُشُوعِ: لِينُ القلبِ ورِقَّتُهُ وخُضُوعُهُ وانكسارُهُ، فإذا

خشع القلب خشعت الجوارح كلها تبعًا له، كما في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ»^(٢).

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول في ركوعه: «اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، خَشَعْتُ لَكَ سَمْعِي وَبَصْرِي وَمُخِّي وَعَظْمِي وَعَصْبِي وَمَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ قَدَمِي»^(٣).



(١) مدارج السالكين (١ / ٥٢١).

(٢) رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

(٣) رواه مسلم (٧٧١).



حكم الخشوع في الصلاة

يرى شيخ الإسلام وابن القيم وغيرهم أن الخشوع في الصلاة واجب، وهو ثمرة الصلاة الحقيقية، وبه تقام الصلاة كما أَرادها الله تعالى، فمن صَلَّى بلا خشوع، فقد أخلَّ بواجبٍ عظيمٍ من صلاته، وإن كانت صحيحة في ظاهرها، إذ الخشوع روح الصلاة ولبَّها، وبه تتحقق حقيقتها.

❁ ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

* أولاً: قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ

❁ ٢﴾ [المؤمنون: ١، ٢].

فهذه الآيات الكريمة جعلت الخشوع وصفاً لازماً للمؤمنين الذين وُعدوا بجنت الفردوس، ومعلوم أن الجنة إنما تُنال بالفرائض والواجبات، لا بمجرد المستحبات، ولهذا لم يذكر الله في صفات أهل الإيمان إلا ما هو من أصول الواجبات، فدلَّ ذلك على أن الخشوع في الصلاة ليس نافلاً ولا فضيلةً تكميلية، بل هو واجب عظيم وشرط للفلاح.

* ثانياً: قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى

❁ ٤٥﴾ [البقرة: ٤٥].



قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وَهَذَا يَقْتَضِي ذَمَّ غَيْرِ الْخَاشِعِينَ ... وَإِذَا كَانَ غَيْرُ الْخَاشِعِينَ مَذْمُومِينَ دَلَّ ذَلِكَ عَلَى وُجُوبِ الْخُشُوعِ... فَثَبَّتَ أَنَّ الْخُشُوعَ وَاجِبٌ فِي الصَّلَاةِ»^(١).

* ثالثاً: قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾^(٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ [الماعون: ٤-٥].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وَلَيْسَ السَّهْوُ عَنْهَا تَرْكُهَا، وَإِلَّا لَمْ يَكُونُوا مُصَلِّينَ، وَإِنَّمَا هُوَ السَّهْوُ عَنْ وَاجِبِهَا: إِمَّا عَنِ الْوَقْتِ، كَمَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَغَيْرُهُ، وَإِمَّا عَنِ الْحُضُورِ وَالْخُشُوعِ، وَالصَّوَابُ أَنَّهُ يَعُمُّ النَّوْعَيْنِ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أُثْبِتَ لَهُمْ صَلَاةً، وَوَصَفَهُمْ بِالسَّهْوِ عَنْهَا، فَهُوَ السَّهْوُ عَنِ وَقْتِهَا الْوَاجِبِ، أَوْ عَنِ إِخْلَاصِهَا وَحُضُورِهَا الْوَاجِبِ؛ وَلِذَلِكَ وَصَفَهُمْ بِالسَّهْوِ، وَلَوْ كَانَ السَّهْوُ تَرْكًا لَمَا كَانَ هُنَاكَ رِيَاءٌ»^(٢).

وينبغي أن يُعلم أن الصلاة لا تبطل بترك الخشوع إذا أدت أركانها، لكنها تفقد كمالها وثوابها، كما ينبغي للمصلي أن يجاهد نفسه قدر استطاعته في طرد الوسوس، واستحضار عظمة من يقف بين يديه، ويتدبر ما يقرأ من الآيات والأذكار ليحوز الأجر العظيم.

(١) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٥٥٣ - ٥٥٤).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٢٠٥).



الفرق بين الخشوع والطمأنينة في الصلاة؟

الخشوع هو سكون القلب وانكساره وخضوعه لله تعالى.

أما الطمأنينة فهي سكون الأعضاء واستقرارها في الصلاة.

حيث يعد الخشوع حالة باطنية للقلب.

أما الطمأنينة فهي سكون في الجسد.

فالطمأنينة ركن أساسي من أركان الصلاة لا تصح بدونها، بخلاف

الخشوع، فلا تبطل الصلاة بفقده.





مراتب الناس في الصلاة

اعلم أخي الكريم أنّ النَّاسَ يختلفون في خشوعهم وحضور قلوبهم في الصلاة تفاوتاً عظيماً.

❁ وقد بين ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ أَنْ المصلين يتوزعون في ذلك على خمس مراتب:

* أَحَدُهَا: مَرْتَبَةُ الظَّالِمِ لِنَفْسِهِ الْمُفْرَطِ وَهُوَ الَّذِي انْتَقَصَ مِنْ وُضُوئِهَا وَمَوَاقِيئِهَا وَحُدُودِهَا وَأَرْكَانِهَا.

* الثَّانِي: مَنْ يُحَافِظُ عَلَى مَوَاقِيئِهَا وَحُدُودِهَا وَأَرْكَانِهَا الظَّاهِرَةَ وَوُضُوئِهَا لَكِنْ قَدْ ضَيَعَ مُجَاهِدَةَ نَفْسِهِ فِي الْوَسْوَاسَةِ فَذَهَبَ مَعَ الْوَسْوَاسِ وَالْأَفْكَارِ.

* الثَّلَاثُ: مَنْ حَافِظٌ عَلَى حُدُودِهَا وَأَرْكَانِهَا وَجَاهِدَ نَفْسَهُ فِي دَفْعِ الْوَسْوَاسِ وَالْأَفْكَارِ فَهُوَ مَشْغُولٌ بِمُجَاهِدَةِ عَدُوِّهِ لِئَلَّا يَسْرِقَ صَلَاتَهُ فَهُوَ فِي صَلَاةٍ وَجِهَادٍ.

* الرَّابِعُ: مَنْ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ أَكْمَلَ حُقُوقَهَا وَأَرْكَانَهَا وَحُدُودَهَا وَاسْتَعْرَقَ قَلْبَهُ مُرَاعَاةَ حُدُودِهَا وَحُقُوقِهَا لِئَلَّا يَضِيْعَ شَيْءٌ مِنْهَا بَلْ هَمُّهُ كُلُّهُ مَصْرُوفٌ إِلَى إِقَامَتِهَا كَمَا يَنْبَغِي إِكْمَالِهَا وَإِتْمَامِهَا، قَدْ اسْتَعْرَقَ قَلْبَهُ شَأْنَ الصَّلَاةِ عُبُودِيَّةً رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهَا.



* **الخامس:** مَنْ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ قَامَ إِلَيْهَا كَذَلِكَ وَلَكِنْ مَعَ هَذَا قَدْ أَخَذَ قَلْبَهُ وَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّهِ **عَزَّجَلَّ** نَاطِرًا بِقَلْبِهِ إِلَيْهِ مُرَاقِبًا لَهُ مُمْتَلِنًا مِنْ مَحَبَّتِهِ وَعَظَمَتِهِ كَأَنَّهُ يَرَاهُ وَيُشَاهِدُهُ، وَقَدْ اُضْمَحَلَّتْ تِلْكَ الْوَسَاوِسُ وَالْخَطَرَاتُ وَارْتَفَعَتْ حُجُبُهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ فَهَذَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ فِي الصَّلَاةِ أَفْضَلُ وَأَعْظَمُ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهَذَا فِي صَلَاتِهِ مَشْغُولٌ بِرَبِّهِ **عَزَّجَلَّ** قَرِيرُ الْعَيْنِ.

فالقِسْمُ الْأَوَّلُ: مُعَاقِبٌ.

والثاني: مُحَاسَبٌ.

والثالث: مُكَفِّرٌ عَنْهُ.

والرَّابِعُ: مُثَابٌ.

والخامس: مُقَرَّبٌ مِنْ رَبِّهِ؛ لِأَنَّ لَهُ نَصِيبًا مِمَّنْ جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِهِ فِي الصَّلَاةِ فَمَنْ قَرَّتْ عَيْنُهُ بِصَلَاتِهِ فِي الدُّنْيَا قَرَّتْ عَيْنُهُ بِقُرْبِهِ مِنْ رَبِّهِ **عَزَّجَلَّ** فِي الْآخِرَةِ وَقَرَّتْ عَيْنُهُ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَمَنْ قَرَّتْ عَيْنُهُ بِاللَّهِ قَرَّتْ بِهِ كُلُّ عَيْنٍ وَمَنْ لَمْ تَقَرَّ عَيْنُهُ بِاللَّهِ تَعَالَى تَقَطَّعَتْ نَفْسُهُ عَلَى الدُّنْيَا حَسْرَاتٍ ^(١).



(١) الوايل الصيب (ص: ٤٩ - ٥٠).



مقصد الصلاة الأعظم

✽ للصلاة مقصودان عظيمان جمعتهما آية واحدة:

* قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

المقصد الأول: النهي عن الفحشاء والمنكر:

* وهو ثمرة ظاهرة تتجلى في حياة المصلي، حيث تزجره صلاته عن المعاصي وتدعوه للاستقامة، وهذا مقصد عظيم لكنه في المرتبة الثانية.

المقصد الثاني: إقامة ذكر الله:

* وهو المقصد الأعظم والأكبر من الصلاة، أن يكون العبد حاضر القلب ذاكراً لربه خاشعاً بين يديه، فبذلك تحيا القلوب وتزكو النفوس.

فالآية ربت المقصودين، وبينت أن النهي عن الفحشاء مقصد عظيم، لكن أعظم منه ذكر الله نفسه.





أسباب الخشوع في الصلاة

بعد أن تحدثنا في هذا الكتاب عن الجوانب النظرية للصلاة وأهميتها، يحسن أن نصل إلى جوهر الكتاب ولبّه، وهو الجانب التطبيقي في حياتنا: كيف نصلي الصلاة الخاشعة التي أرادها الله منا؟ تلك الصلاة التي تُثمر هدىً ونوراً، وتفيض على القلب راحةً وسكينةً، وتملأ النفس طمأنينةً وبركةً.

إنها الصلاة التي يجد العبد فيها لذة العبادة وحلاوة المناجاة، ويشعر معها بالقرب من ربه، كأنه يناجيه سرّاً ويقف بين يديه ذليلاً خاشعاً.

وفيما يلي نذكر جملةً من الأسباب المعينة على تحصيل الخشوع في الصلاة، لعلها تفتح للعبد أبواب الأُنس بالله، وتجعله يتقلب في رياض الطاعة ولذة القرب، فيكون من الذين قال الله فيهم: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٢].





السبب الأول

معرفة قدر الصلاة وعظم منزلتها

إنَّ من أعظم ما يفتح باب الخشوع في الصلاة أن يعرف العبد قدرها ومكانتها عند الله تعالى؛ فإن القلب إذا علم عظمة الشيء هابه وخضع له، ومن هنا كان أول أسباب الخشوع: معرفة قدر الصلاة وعظم منزلتها، فهي ليست مجرد حركات وألفاظ، بل هي أعظم عبادة بعد التوحيد، وواسطة الوصل بين العبد وربّه، وعنوان فلاحه ونجاته.

وإليك بعض الجوانب التي تبرز هذه العظمة:

١- الصلاة عمود الدين وأعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين.

* قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذُرْوَةٌ سَنَامِهِ الْجِهَادُ»^(١).

٢- أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة.

* قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ»^(٢).

(١) رواه الترمذي (٢٦١٦) وقال الألباني: صحيح.

(٢) رواه الترمذي (٤١٣) وصححه إسناده شعيب الأرنؤوط.



٣- آخر وصية للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

* قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «كَانَ آخِرُ كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الصَّلَاةُ، الصَّلَاةُ، انقروا الله فيما مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» (١).

٤- أعظم وسائل تكفير الذنوب.

* عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكْفِرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَبِتِ الْكَبَائِرُ» (٢).

* وعنه أيضا أنه سَمِعَ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا، مَا تَقُولُ ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ؟ قَالُوا: لَا يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا، قَالَ: فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا» (٣).

* وعن عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «لَا يَتَوَضَّأُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ فَيُحْسِنُ الْوُضُوءَ، فَيُصَلِّيَ صَلَاةً، إِلَّا غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّلَاةِ الَّتِي تَلِيهَا» (٤).

(١) رواه أبو داود (٥١٥٦) وقال الألباني: صحيح.

(٢) رواه مسلم (٢٣٣).

(٣) رواه البخاري (٥٢٨)، ومسلم (٦٦٧).

(٤) رواه مسلم (٢٢٧).



٥- علامة الإيمان والفلاح.

* قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ

﴿٢﴾ [المؤمنون: ١-٢].

٦- أنها أفضل الأعمال عند الله عزَّجَلَّ.

* عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَيَّ وَقِتْمَانُهَا»، قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «ثُمَّ بُرُّ الْوَالِدَيْنِ»، قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(١).

٧- أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر.

* قال الله تعالى: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ابْتَغَاءَ الصَّلَاةِ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ [العنكبوت: ٤٥].

٨- أنها نورٌ لصاحبها في الدنيا والآخرة.

* فعن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «(والصلاة نور)»^(٢).

(١) رواه البخاري (٥٢٧).

(٢) رواه مسلم (٢٢٣).



* وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُّحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ» (١).

٩- أن الله عزَّوجلَّ يرفع بها الدرجات ويحط الخطيئات.

* عن ثوبان مولى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ، فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةٌ» (٢).

* وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ مَشَى إِلَى بَيْتٍ مِنْ بَيْوتِ اللَّهِ لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ، كَانَتْ حَطُوتَاهُ: إِحْدَاهُمَا تَحُطُّ خَطِيئَةً، وَالْأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً» (٣).

١٠- الملائكة تُصلي على صاحبها ما دام في مصلاه.

* فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيَّ عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ، مَا لَمْ يُحْدِثْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، لَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا دَامَتِ الصَّلَاةُ تَحْبِسُهُ،

(١) رواه البخاري (١٣٦)، ومسلم (٢٤٦).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) رواه مسلم (٦٦٦).



لا يَمْنَعُهُ أَنْ يَنْقَلِبَ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا الصَّلَاةُ»^(١).

بعد ذكر هذه الأدلة العظيمة التي تُبَيِّن مكانة الصلاة، يتضح لنا أنَّ معرفة قدرها ليست مجرد معلومة نظرية، بل هي مفتاح حقيقي للخشوع؛ فكلما ازداد العبد يقيناً بعظمة هذه العبادة وما أودع الله فيها من أسرار وفضائل، رقَّ قلبه، وخضع جسده، وحضر ذهنه.

إن الذي يدخل الصلاة وهو يَعْلَم أنها عمود الدين، وأول ما يُسأل عنه يوم القيامة، وأنها وصية نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنها تكفّر الذنوب وتفتح له أبواب النور والرحمة، لا يمكن أن يؤديها بفتور أو غفلة، بل سيقف بين يدي الله خاشعاً مطمئناً، مستشعراً أنه في أعظم مقام وأشرف حال.

فالخشوع يبدأ من معرفة القدر، ثم يترجم إلى حضور القلب والجوارح، وهذا هو الطريق إلى لذة الصلاة وثمارها.



(١) رواه البخاري (٦٥٩)، ومسلم (٦٤٩).



السب الثاني

أصلح قلبك تصلح صلاتك

من أراد صلاح عمله فليبدأ بصلاح قلبه؛ فالقلب هو القائد،
والجوارح تبع له.

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ
صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»^(١).

فصلاح الجسد كله مرهون بسلامة القلب، ومن صفا قلبه أذاقه الله
حلاوة الإيمان، فيتلذذ بالقرب من الرحمن، ويجد في الإخلاص والعبادة
لذة لا تضاهيها لذة.

ومن قواعد التزكية العظيمة: التخلية قبل التحلية؛ فطهر قلبك أولاً
من أمراضه: من الحسد والغل والحقد وسائر الشهوات المظلمة، ثم
زيّنه بعد ذلك بالتحلية: بالإيمان، والإخلاص، والصلاة، والطاعة،
وسائر وجوه العبادة.

فابحث في قلبك عن عِله، وجاهد في تنقيته من أدواء الشهوات
والشبهات، فإذا زال صدؤه أشرقت صفحته، وتلذذت بالوقوف بين
يدي الملك الديان، وأضاءت روحك بنور الإيمان.

(١) سبق تخريجه.



السبب الثالث

غض البصر عن الحرام

غَضَّ البَصَرَ عن الحرام من أعظم العبادات التي تُورثُ في القلب حلاوة الإيمان ولذة العبادة.

* قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾ [النور: ٣٠]: ﴿أَزْكَى لَهُمْ﴾ أَطْهَرُ وَأَطْيَبُ، وَأَنْمَى لِأَعْمَالِهِمْ، فَإِنَّ مَنْ حَفِظَ فَرْجَهُ وَبَصَرَهُ، طَهَّرَ مِنَ الْخَبْثِ الَّذِي يَتَدَنَسُ بِهِ أَهْلُ الْفَوَاحِشِ، وَزَكَّتْ أَعْمَالُهُ، بِسَبَبِ تَرْكِ الْمُحَرَّمَ، الَّذِي تَطْمَعُ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَتَدْعُو إِلَيْهِ، فَمَنْ تَرَكَ شَيْئًا لِلَّهِ، عَوَّضَهُ اللهُ خَيْرًا مِنْهُ، وَمَنْ غَضَّ بَصَرَهُ عَنِ الْمُحَرَّمَ، أَنْارَ اللهُ بَصِيرَتَهُ»^(١).

* وجاء في الحديث عن حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «النَّظْرَةُ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ مَسْمُومَةٌ، فَمَنْ تَرَكَهَا مِنْ خَوْفٍ، أَثَابَهُ جَلٌّ وَعَزٌّ إِيْمَانًا يَجِدُ حَلَاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ»^(٢).

(١) تفسير السعدي (ص: ٥٦٦).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرک» (٨٠٨٨) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد.



* قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «غَضَّ البَصْرَ عَنِ الصُّورَةِ الَّتِي يُنْهَى عَنِ النَّظْرِ إِلَيْهَا يُورِثُ ذَلِكَ ثَلَاثَ فَوَائِدَ جَلِيلَةٍ القَدْر: «أَحَدُهَا» حَلَاوَةُ الإِيمَانِ وَلَذَّتُهُ، الَّتِي هِيَ أَحْلَى وَأَطْيَبُ مِمَّا تَرَكَهُ اللهُ، فَإِنْ مَن تَرَكَ شَيْئًا لِلَّهِ، عَوَّضَهُ اللهُ خَيْرًا مِنْهُ» (١).

* وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وَفِي غَضِّ البَصْرِ عِدَّةُ مَنَافِعَ، وَمِنْهَا: أَنَّهُ يُورِثُ القَلْبَ أَنَسًا بِاللَّهِ وَجَمْعِيَّةً عَلَيْهِ، فَإِنَّ إِطْلَاقَ البَصْرِ يُفَرِّقُ القَلْبَ وَيُسْتَتِّهِ، وَيُبْعِدُهُ عَنِ اللهِ، وَلَيْسَ عَلَى القَلْبِ شَيْءٌ أَضَرُّ مِنْ إِطْلَاقِ البَصْرِ، فَإِنَّهُ يُورِثُ الوَحْشَةَ بَيْنَ العَبْدِ وَرَبِّهِ» (٢).

فإذا أردت أن تتلذذ بصلاتك، وتذوق حلاوة العبادة وطعم الإيمان، فاترك لله، واحفظ بصرك وجوارحك، وإلا عُوقبت بحرمانها، ويا لها من عقوبة عظيمة يجهلها كثير من الناس، فالمعاصي لها عقوبات، ومنها: حرمان لذة الطاعة.



(١) مجموع الفتاوى (١٥ / ٤٢٠).

(٢) الداء والدواء (١ / ٤١٦).



السبب الرابع

الاستعداد للصلاة والتهيؤ لها

إن من أعظم ما يعين على الخشوع في الصلاة أن يقبل العبد عليها بعد تهيؤ واستعداد، فيتهدأ قلبه وجسده قبل أن يقف بين يدي الله جَلَّ وَعَلَا، فإن من شأن العبد إذا استعد للقاء الملوك والعظماء أن يتهدأ ويستحضر المهابة، فكيف بلقاء ملك الملوك سبحانه؟

ومن أهم صور هذا الاستعداد:

١. **إحسان الوضوء؛** فيبدأ بالتسمية، ويُسبغ الوضوء على

المكروه، مستشعراً أنه يتطهر من ذنوبه مع آخر قطرة ماء.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِذَا

تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ، أَوْ الْمُؤْمِنُ، فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ

كُلُّ حَاطِيَّةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ،

فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلِّ حَاطِيَّةٍ كَانَتْ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ

الْمَاءِ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ

حَاطِيَّةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ، حَتَّى

يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ»^(١).

(١) رواه مسلم (٢٤٤).



٢. **المجيء المبكر إلى المسجد، والمشي إليه بسكينة ووقار،**

فإن التبكير من أعظم أسباب حضور القلب واستعداده، وهو دليل تعظيم لشأن الصلاة، محتسبا بكل خطوة رفعة درجة وخط خطيئة.

٣. **استعمال السواك تطهيرا للضم وتعظيما للمناجاة.**

٤. **أن يشتغل الداخل إلى المسجد بأداء السنة، وقراءة القرآن أو ذكر الله والدعاء حتى تُقام الصلاة، فيصفو قلبه ويتهيأ للخشوع.**

٥. **استحضار النية الصادقة قبل الصلاة،** بأن يجعلها لله وحده، ويؤديها كأنها آخر صلاة له، طلبا للأجر ورفعة الدرجات.

فمن أقبل على الصلاة بعد إحسان وضوئه، وتبكيره إلى المسجد، وتسوكه، وانشغاله بالذكر والدعاء، واستحضار نيته لله تعالى، دخل الصلاة بقلب حاضر وجوارح خاشعة، فتهيأ لمناجاة ربه بأفضل حال، وحظي بلذة القرب ولين القلب.





السبب الخامس

سؤال الله تعالى إقامة الصلاة والخشوع فيها

* اعلم أن كل طاعة وعمل صالح لا يُوفَّق العبد إليه إلا بتوفيق الله وإعانتة، والدعاء هو أعظم مفاتيح هذا التوفيق. فإذا أردت - أخي الكريم - أن تقيم صلاتك كما أمرك الله، وأن تخشع فيها وتتلذذ بها، فألحَّ على ربك بالدعاء، وابذل سعيك في طلب العون منه سبحانه.

* تأمل في دعاء خليل الرحمن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ [إبراهيم: ٤٠].

* واجعل هذا الدعاء شعارك الدائم، تلهج به صباح مساء.

* وقل قبيل الصلاة بصدق وخشوع: «اللَّهُمَّ عَلِّقْ قَلْبِي بِكَ».

* وألحَّ عليه بصدق: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ».

* فمن رزقه الله الدعاء مع الإلحاح، أعانه على تحقيق الغاية العظمى من الصلاة، وهي إقامة ذكر الله، وحضور القلب بين يديه.



* فالخاشع حقاً هو من علم أن الخشوع رزقٌ من الله، فقام بسببه، واستعان بمولاه، ولجأ إلى بابه، طالباً أن يرزقه لذة الوقوف بين يديه، وأن يجعله من أهل الصلاة الذين قال فيهم سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون: ١-٢].





السبب السادس

أن يطمئن المصلي ويطبق وصية النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
للمسيء في صلاته

وقد مر معنا كيف علمه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتعليمه لهذا الرجل هو في حقيقته تعليمٌ للأمة كُلِّها؛ ليحذروا من العجلة والتفريط، وليتعلموا أن الصلاة إنما تقام بالخشوع والطمأنينة، لا بمجرد الحركات السريعة.

«إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تيسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، وَافْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا».

الحديث يبين أن الطمأنينة ليست هيئة زائدة، بل هي ركنٌ أساس لا تصح الصلاة بدونه.

وهي تعني أن يقف العبد بين يدي ربه بوقارٍ وسكون، فلا ينقر صلاته كنقر الغراب، بل يطمئن في صلاته، فلا يستعجل حركاتها، حتى يذوق لذة الركوع والسجود وحلاوة الذكر.





السبب السابع

تدبر الآيات والأذكار والتفاعل معها

إن من أعظم ما يعين على الخشوع في الصلاة أن يتدبر المصلي ما يقرأه من القرآن، وما يقوله من الأذكار والدعوات، ولا يكون التدبر إلا بالعلم والفهم؛ ومن أراد أن يخشع في صلاته، ويذوق حلاوتها ولذة مناجاة ربّه، فلا بد أن يعقل ما يقول وما يفعل، ويتأمل القراءة والذكر والدعاء، ومع الآيات التي يتلوها أو يسمعها، ينبغي أن يقف معها وقفات المتأمل المتدبر، يستخرج هداياتها ويستشعر خطاب الله له بها، فإن ذلك مما يعينه على حضور القلب والخشوع في صلاته، ويستحضر أنه يناجي الله تعالى كأنه يراه، ويستشعر وهو يقرأ الفاتحة أن الله يُجيبه في صلاته،

ولهذا قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ؛ فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، قَالَ اللَّهُ: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، قَالَ اللَّهُ: أَتْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ، قَالَ اللَّهُ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ، قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ**



الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ، قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ^(١).
فعلى المصلي أن يجعل قراءته للفتحة وسائر الآيات، وكذلك
الأذكار، مقام تأمل وتفكير، يستحضر فيه عظمة ربّه، ويتذكر وعده
ووعيده، ووصفه لجنته وناره؛ فهذا هو التدبر الحق الذي يورث الخشوع
ويغرس الخشوع في القلب.

ومن أعظم ما يعين على ذلك: تعلم معاني القرآن، ومطالعة كتب
التفسير، وحفظ أدعية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأذكاره؛ ليجدها المصلي
حاضرة على قلبه ولسانه عند وقوفه بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ.



(١) رواه مسلم (٣٩٥).



السبب الثامن

تقطيع القراءة آية آية

ومن أعظم ما يعين على الفهم والتدبر والخشوع في الصلاة أن يقرأ المصلي القرآن آيةً بعد آية، لا يصل بعضها ببعض دون تدبر، وهذه هي سنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد كانت قراءته مُفسَّرةً حرفاً حرفاً.

فعن أمِّ سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَطِّعُ قِرَاءَتَهُ، يَقْرَأُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ثُمَّ يَقِفُ، ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ثُمَّ يَقِفُ»^(١).



(١) رواه أبو داود (٤٠٠١) وقال الألباني: صحيح.



السبب التاسع

الاستعاذة بالله من الشيطان حال الوسوسة

الشيطان عدو للمصلي، همه أن يُذهب خشوعه ويُلبس عليه صلاته، فهو كقاطع الطريق يمنع العبد من السير إلى الله، لذا شرعت الاستعاذة بالله عند القراءة؛ لتكون حصناً له من وساوسه، فإذا ثبت ولازم الذكر انصرف عنه عدوه، قال تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

فيسن للمصلي إذا أحس بوسوسة الشيطان له في صلاته أن يتعوذ بالله منه، ويلتفت برأسه فقط، ثم يتفل عن يساره ثلاثاً؛ يدل على ذلك ما ورد عن عُمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلَاتِي وَقِرَائَتِي يَلْبَسُهَا عَلَيَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خَنْزَبٌ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهُ وَاتْفَلْ (١) عَلَى يَسَارِكَ ثَلَاثًا». قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَهُ اللَّهُ عَنِّي» (٢).

قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْأَلْتِفَاتُ فِي الصَّلَاةِ لِلتَّعَوُّذِ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ عِنْدَ الْوَسْوَسَةِ لَا حَرَجَ فِيهِ، بَلْ هُوَ مُسْتَحَبٌّ عِنْدَ شِدَّةِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ بِالرَّأْسِ فَقَطْ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِهِ عُمَانَ بْنَ أَبِي

(١) التفل: نفخ معه قليل مع الريق.

(٢) رواه مسلم (٢٢٠٣).



الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لَمَّا اشْتَكَى إِلَيْهِ مَا يَجِدُهُ مِنْ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ،
فَأَمَرَهُ أَنْ يَتْفَلَ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَيَتَعَوَّذَ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَفَعَلَ
ذَلِكَ فَشَفَاهُ اللَّهُ» (١).

وقد نصَّ الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى أَنَّهُ: إِذَا كَانَ الْمُصَلِّيَّ مَعَ
الْجَمَاعَةِ فَلَا يَتْفَلَ عَنْ يَسَارِهِ حَتَّى لَا يُؤْذِيَ مَنْ بَجَانِبِهِ، إِلَّا إِذَا كَانَ آخِرَ
الْصَّفِّ فِي غَيْرِ الْمَسْجِدِ، وَإِلَّا فَلْيَتْفَلَ فِي ثَوْبِهِ أَوْ مَنَدِيلاً، فَإِنْ لَمْ يَتيسَّرَ
فَتَكْفِيهِ الْإِسْتِعَاذَةُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ بِلَا تَفَلَّ (٢).



(١) مجموع فتاوى ابن باز (١١ / ١٣٠).

(٢) ينظر: فتاوى نور على الدرب (١٢ / ١٥٥)، (٤٥ / ١٨٥).



السبب العاشر

النظر إلى موضع السجود

إِنَّ مِمَّا يُعِينُ عَلَى الْخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ: أَنْ يَجْعَلَ الْمُصَلِّيُ بَصْرَهُ
نَحْوَ مَوْضِعِ سُجُودِهِ، فَقَدْ رَوَى عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «دَخَلَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكَعْبَةَ، مَا خَلْفَ بَصَرِهِ مَوْضِعَ سُجُودِهِ حَتَّى
خَرَجَ مِنْهَا»^(١).

قال ابن قدامة: «يُسْتَحَبُّ لِلْمُصَلِّيِّ أَنْ يَجْعَلَ نَظْرَهُ إِلَى مَوْضِعِ
سُجُودِهِ، قَالَ أَحْمَدُ - فِي رِوَايَةِ حَنْبَلٍ - : الْخُشُوعُ فِي الصَّلَاةِ: أَنْ يَجْعَلَ
نَظْرَهُ إِلَى مَوْضِعِ سُجُودِهِ، وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنْ مُسْلِمِ بْنِ يَسَارٍ، وَقَتَادَةَ»^(٢).



(١) رواه الحاكم (١٧٨٤) وصححه الألباني في صفة صلاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٢) المغني (٢/ ٣٩٠).



السبب الحادي عشر

التنوع في السور والآيات والأذكار والأدعية

من أعظم ما يجدد الخشوع في الصلاة: أن ينوع المصلي في قراءته من السور والآيات، وفي ما يقوله من الأذكار والأدعية؛ فالتنوع يبعث حياةً في المعاني، ويجدد حضور القلب، وهو من هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي يكمل به الخشوع ويعظم أثر الصلاة في النفس.

كما أن التنوع يوقظ النفس، وينشطها على العبادة، ويعين على حضور الذهن؛ إذ إن التزام صيغة واحدة يجعلها عادةً تجري على اللسان من غير قصد، حتى إن المصلي إذا كَبَّرَ وهو غافل وجد نفسه يرددتها بغير قصد.





السبب الثاني عشر

دفع الموانع والشواغل التي تضعف الخشوع

من أهم ما يعين على حضور القلب في الصلاة أن يتعد المصلي عن كل ما يشغله أو يكدر صفو خشوعه؛ فلا يصلي وبحضرته طعام يشتهي، ولا وهو حابس لبول أو غائط.

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا صَلَاةَ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ، وَلَا هُوَ يُدَافِعُهُ الْأُخْبَثَانِ»^(١).

ويجتهد في مدافعة التثاؤب لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ، فَلْيُمْسِكْ بِيَدِهِ عَلَى فِيهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ»^(٢).

فإن مدافعة هذه الأمور تذهب بالخشوع ولا يبقى معها كمال الطمأنينة، ويلحق بها مدافعة الريح ونحوها من الموانع.



(١) رواه مسلم (٥٦٠).

(٢) رواه مسلم (٢٩٩٥).



السبب الثالث عشر

الحذر من التشبه بالبهايم

نهى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصلاة عن ثلاثة أشياء:

١. عن نقر الغراب.
٢. واقتراش السبع.
٣. وأن يوطن الرجل مكاناً معيناً في المسجد كإيطان البعير؛ أي أن يعتاد موضعاً مخصوصاً لا يصلي إلا فيه، كما أن البعير لا يغير مناخه فيوطنه.

هذا ما تيسر ذكره من الأسباب الجالبة للخشوع لتحصيلها، والأسباب المشغلة عنه لتلافئها، ومن صدق مع الله في طلب الخشوع وأحسن الأخذ بأسبابه، بلغه الله غايته، وجعل صلاته قُرَّةً عَيْنٍ له في الدنيا ونجاةً في الآخرة.

ونسأل الله أن يرزقنا وإياكم الخشوع في الصلاة، ولذة المناجاة، وحلاوة القرب، إنه ولي ذلك والقادر عليه.





إضاءة (٤)

يصفُ الحافظ عمر البزَّار شعوره حينما صلَّى خلف شيخ الإسلام ابن تيمية قائلاً: «وكان إذا أحرم بالصلاة يكاد يخلع القلوب لهيبة إتيانه بتكبيرة الإحرام، فإذا دخل في الصلاة ترتعد أعضاؤه حتى يمد يمينه ويسرة». الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية





تنبيهات مهمة في الصلاة

هذه جملة من التنبيهات التي تُعين المصلي على إتقان صلاته، وتحقيق خشوعها، والبعد عما يُنقصها أو يُبطلها:

١- امشِ إلى الصلاة بسكينة ووقار

ولا تُسرِع لإدراك الركعة، بل أدرك ما تيسر، وأتم ما فاتك بهدوء، كما في وصية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ سَمِعَ جَلْبَةَ رِجَالٍ، فَلَمَّا صَلَّى قَالَ: «مَا شَأْنُكُمْ؟ قَالُوا: اسْتَعْجَلْنَا إِلَى الصَّلَاةِ؟» قَالَ: «فَلَا تَفْعَلُوا إِذَا أَتَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَأْتُمُوا»^(١).

٢- بادر بالفريضة عند إقامة الصلاة واقطع النافلة؛ فإن الفريضة مقدّمة، ولا صلاة حينئذٍ إلا المكتوبة؛ لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا صَلَاةَ إِلَّا الْمَكْتُوبَةُ»^(٢).

٣- احرص على الطمأنينة في جميع أركان الصلاة

أتم ركوعك وسجودك وقيامك وجلوسك؛ فإن الطمأنينة ركنٌ لا تصح الصلاة بدونه كما مر معنا.

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه مسلم (٧١٠).



رأى حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجلاً يُسِيءُ في صَلَاتِهِ، فقال له: «مُذْ كَمْ صَلَّيْتَ هَذِهِ الصَّلَاةَ؟ قَالَ: مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، قَالَ: «مَا صَلَّيْتَ مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلَوْ مُتَّ عَلَى صَلَاتِكَ هَذِهِ مُتَّ عَلَى غَيْرِ فِطْرَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»^(١).

٤ - تابع الإمام ولا تسابقه ولا تُوافقه، بل اجعل أفعالك بعده، فإنما **جعل الإمام ليؤتم به.**

ولذا ورد في السنة النبوية النهي الشديد عن ذلك كما صح عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «أَمَا يَخْشَى أَحَدُكُمْ - أَوْ: لَا يَخْشَى أَحَدُكُمْ - إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ قَبْلَ الْإِمَامِ، أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ؟! أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ صُورَتَهُ صُورَةَ حِمَارٍ»^(٢).

فالمسابقة محرمة، والمتابعة واجبة، فليس لهم أن يسابقوه، وليس لهم أن يوافقوه، وعليهم أن يتابعوه، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا، وَإِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا، وَإِذَا رَفَعَ فَارْفَعُوا، وَإِذَا قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فَقُولُوا: رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، وَإِذَا سَجَدَ فَاسْجُدُوا، وَإِذَا صَلَّى قَاعِدًا فَصَلُّوا قُعُودًا أَجْمَعِينَ»^(٣).

(١) حلية الأولياء (٥ / ٢٤).

(٢) رواه البخاري (٦٩١)، ومسلم (٤٢٧).

(٣) رواه البخاري (٨٠٥)، ومسلم (٤١١).



وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي إِمَامُكُمْ، فَلَا تَسْبِقُونِي بِالرُّكُوعِ وَلَا بِالسُّجُودِ، وَلَا بِالْقِيَامِ وَلَا بِالْإِنْصِرَافِ»^(١). أي: السلام.

٥- اقرأ واذكر ربك سرًّا في الصلاة السرية واخفض صوتك بحيث تُسمع نفسك دون أن تُشوش على من حولك.

فكثيرًا ما تسمع من بجوارك قراءته للفاتحة، أو تسيحه في الركوع والسجود، أو دعاءه بين السجدتين، وهذا مخالف لهدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأن الأذكار السرية يُشرع أن تكون بين العبد وربّه لا يُسمعُ بها غيره، وفعله هذا يُشوش على المصلين، فيمنعهم من الخشوع، وربما يشغلهم عن قراءة الفاتحة أو تدبر صلاتهم.

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: اعْتَكَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ فَسَمِعَهُمْ يَجْهَرُونَ بِالْقِرَاءَةِ فَكَشَفَ السِّتْرَ وَقَالَ: «أَلَا إِنَّ كَلِمَةَ مُنَاجِ رَبِّهِ فَلَا يُؤْذِنَنَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَلَا يَرْفَعَنَّ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْقِرَاءَةِ أَوْ قَالَ فِي الصَّلَاةِ»^(٢).

فالسنة في الصلوات السرية أن تكون القراءة والأذكار والدعاء سرًّا، يسمع المصلي نفسه فقط، دون أن يشوش على من بجواره، فالصلاة مناجاة بين العبد وربّه، لا مجال فيها لرفع الأصوات.

(١) رواه مسلم (٤٢٦).

(٢) رواه أبو داود (١٣٣٢) وقال الألباني: صحيح.



٦ - اكظم التثاؤب وتجنب رفع الصوت بما يؤذي واحفظ أدبك في الصلاة، فإنها مناجاة بينك وبين ربك.

ولذا يُكره للمصلي أو لغيره إصدار الأصوات المزعجة كالجشاء والتثاؤب بصوت مرتفع، لما في ذلك من قبح شرعاً وعرفاً وعقلاً.

وقد قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعُطَّاسَ، وَيُكْرَهُ التَّثَاؤُبَ، فَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ، فَحَقُّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يُشَمِّتَهُ، وَأَمَّا التَّثَاؤُبُ: فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَلْيُرِدْهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِذَا قَالَ: هَا، ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ»^(١).

وقال أيضاً: «إِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَلْيُكْظَمْ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ»^(٢).

قال العلماء: يُستحبُّ كظمُ التثاؤب في كل حال، ويُؤكَّد ذلك في الصلاة، لما فيه من احترام للموقف بين يدي الله، وصيانة للمصلين من الإيذاء، وحفظٍ لجو الخشوع والخضوع.

فرفع الصوت بالتثاؤب أو الجشاء يدلُّ على غفلة وكسلٍ وقلة مبالاة بالآخرين، ومنافٍ لأدب المسلم مع ربه والناس.

(١) رواه البخاري (٦٢٢٣).

(٢) رواه مسلم (٢٩٩٥).



٧- احرص على طيب الرائحة ونظافة البدن والثياب ولا تؤذ المصلين بروائح كريهة؛ فإن ذلك منافٍ لأدب المسجد.

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكَرَّاثَ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ»^(١).

فالأكل من هذه الأطعمة جائز، لكن يُمنع من حضور الجماعة من بقيت رائحته مؤذية، حتى يُزيلها أو يزول أثرها، ومن باب أولى: يُمنع من حضر برائحة الدخان أو العرق أو الجوارب المتسخة، أو فم كريه الرائحة بسبب ترك السواك أو الصيام، فكل ذلك من سوء الأدب مع الله ومع المصلين.

والأكمل أن يتجمل المصلي عند كل صلاة، مستعملاً السواك والطيب، ومراعياً حرمة المسجد، وخشوع المصلين من حوله.

٨- لا تقم لقضاء ما فاتك حتى يُسلم الإمام تماماً بل انتظر تسليمه، ثم أتمّ صلاتك.

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي إِمَامُكُمْ، فَلَا تَسْبِقُونِي بِالرُّكُوعِ وَلَا بِالسُّجُودِ، وَلَا بِالْقِيَامِ وَلَا بِالْإِنْصِرَافِ»^(٢). أي: السلام.

(١) رواه مسلم (٥٦٤).

(٢) سبق تخريجه.



٩- تجنّب العبث في الصلاة كفرقة الأصابع ونحوها فإن ذلك يُنافي الخشوع، وقد يُشوِّش على غيرك.

١٠- حرّك لسانك بالقراءة والأذكار ولا تكتفِ بالقلب؛ فإن القراءة لا تتحقق إلا بالنطق.

١١- اترك التلثم في الصلاة إلا لحاجة فهو خلاف كمال الأدب في مناجاة الله.

١٢- اسجد على الأعضاء السبعة تمكيناً كاملاً وألصق جبهتك وأنفك بالأرض، وأتمّ السجود كما أمرت.

فعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أمرتُ أن أسجدَ على سبعةِ أعظم: على الجبهة» - وأشار بيده إلى أنفه - «واليدين، والرُّكبتين، وأطرافِ القَدَمين»^(١).

١٣- تجنّب تشبيك الأصابع في الصلاة وفي طريقك إليها فإنك في حكم المصلي من خروجك حتى رجوعك.

فعن أبي سعيد المقبري قال: حدّثني أبو ثَمَامَةَ الحنّاطُ أن كَعْبَ بْنَ عُجْرَةَ أدركه وهو يريدُ المسجِدَ، أدركَ أحدهُما صاحِبَهُ، قال: فوجَدني وأنا مُشبِّكُ يديّ فنهاني عن ذلك، وقال: إنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(١) رواه البخاري (٨١٢)، ومسلم (٤٩٠).



«إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فَأَحْسَنَ وَضُوءَهُ ثُمَّ خَرَجَ عَامِدًا إِلَى الْمَسْجِدِ
فَلَا يُشَبِّكَنَّ يَدَيْهِ فَإِنَّهُ فِي صَلَاةٍ»^(١).

١٤ - قف في صلاتك ما دمت قادراً ولا تجلس إلا لعذر، فالقيام
ركنٌ مع القدرة.

فلا يجوز لأحدٍ أن يصلي قاعداً، وهو يستطيع الوقوف.

١٥ - ارفع يديك حذو المنكب أو الأذن في مواضعها المشروعة

ومواضع رفع اليدين أربعة:

* عند تكبيرة الإحرام.

* وعند الركوع.

* وعند الرفع منه.

* وعند الرفع من التشهد الأول.

وللتفصيل حول أخطاء الصلاة يُرجع إلى كتابنا: أربعون خطأ شائعا
في الصلاة.



(١) رواه أبو داود (٥٦٢) وقال الألباني: صحيح.



إضاءة (٥)

قال العلامة العثيمين رَحِمَهُ اللهُ: قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الصَّلَاةُ نُورٌ»

أي: نُورٌ للعبدِ في قلبه، وفي وجهه، وفي قبره، وفي حشره، ولهذا تجدُ أكثرَ الناسِ نُورًا في الوجوهِ أكثرهم صلاةً، وأخشعهم فيها لله عَزَّجَلَّ.

شرح رياض الصالحين





وماذا بعد هذا الكلام.

الآن.. قد عرفتَ الطريق، فابدأ المسير.

واجعل صلاتك حديثَ قلبٍ لا تكررَ عادة، ولقاءَ روحٍ لا أداءَ جسد.

قف بين يدي ربك وقلبك حاضر، ولسانك خاشع، وجوارحك

ساكنة، ونبّتك صادقة.

واعلم أن الخشوع لا يُنال بالتمني، بل بالمجاهدة والدعاء، فعليك

بكثرة الدعاء أن يرزقك الله قلبًا خاشعًا، ولسانًا ذاكراً، وعيونًا دامعة.

واجتهد في مجاهدة نفسك على حضور القلب في الصلاة، فالنفس

إن أُكْرهت أو لا أَلْفَت ولا نَت، وإن أُهْمِلت استوحشت وغفلت.

وكن في صلاتك مقتدياً بسيد الخاشعين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي قال:

«صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»^(١).

ففي كل ركعةٍ تتبع فيها هديّه، يزداد قربك من الله، وتصفو روحك،

ويزول عنك ثقل الدنيا وضجيجها.

فما كُتِب هذا الكتاب لتُغلق صفحاته، بل لتُفتح به صفحة جديدة

بينك وبين الله.

(١) رواه البخاري (٦٠٠٨)، ومسلم (٦٣٥).



ابدأ من اليوم.. وصل صلاةً تليق بمن تقف بين يديه، صلاةً تُغيّر قلبك، وتُنير دربك، وتقربك من ربك.

وتذكر.. ليست الصلاة حركاتٍ تُؤدّى، بل حياةٌ تُحيا.

فإذا استقامت صلاتك، استقامت حياتك، وإن صلحت صلواتك بربك، صلح كل ما سواها.

هذا ما تيسر إعداده، وتهياً لإيراده، فإن كان من صواب فمن الله، وإن كان من خطأ ونقص فمن نفسي.

وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.





فهرس الكتاب

- الإهداء ٤
- المقدمة ٥
- إضاءة (١) ٧
- هل جددت صلاتك؟ ٨
- نعيم الصلاة ١١
- أيها المصلي ١٣
- موقف لا أنساه ١٤
- قيمة كل امرئ ما يطلبه ١٧
- إضاءة (٢) ٢٠
- الصلاة لا تُسرق بالعجلة ٢١
- أسوأ سارق ٢٥
- حال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع الصلاة ٢٧
- حال السلف الصالح مع الصلاة ٣١
- إضاءة (٣) ٣٨
- الخشوع ومنزلته في الصلاة ٣٩
- تعريف الخشوع في الصلاة ٤٠



- حكم الخشوع في الصلاة ٤١
- الفرق بين الخشوع والطمأنينة في الصلاة؟ ٤٣
- مراتب الناس في الصلاة ٤٤
- مقصد الصلاة الأعظم ٤٦
- أسباب الخشوع في الصلاة ٤٧
- السبب الأول : معرفة قدر الصلاة وعظم منزلتها ٤٨
- السبب الثاني : أصلح قلبك تصلح صلاتك ٥٣
- السبب الثالث : غض البصر عن الحرام ٥٤
- السبب الرابع : الاستعداد للصلاة والتهيؤ لها ٥٦
- السبب الخامس : سؤال الله تعالى إقامة الصلاة والخشوع فيها ٥٨
- السبب السادس : أن يطمئن المصلي ويُطبق وصية النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمسيء في صلاته ٦٠
- السبب السابع : تدبّر الآيات والأذكار والتفاعل معها ٦١
- السبب الثامن : تقطيع القراءة آية آية ٦٣
- السبب التاسع : الاستعاذة بالله من الشيطان حال الوسوسة ٦٤
- السبب العاشر : النظر إلى موضع السجود ٦٦
- السبب الحادي عشر : التنويع في السور والآيات والأذكار والأدعية ٦٧



- السبب الثاني عشر: دفع الموانع والشواغل التي تُضعف الخشوع ٦٨
- السبب الثالث عشر: الحذر من التشبه بالبهايم ٦٩
- إضاءة (٤) ٧٠
- تنبيهات مهمة في الصلاة ٧١
- إضاءة (٥) ٧٨
- وماذا بعد هذا الكلام ٧٩
- فهرس الكتاب ٨١

